

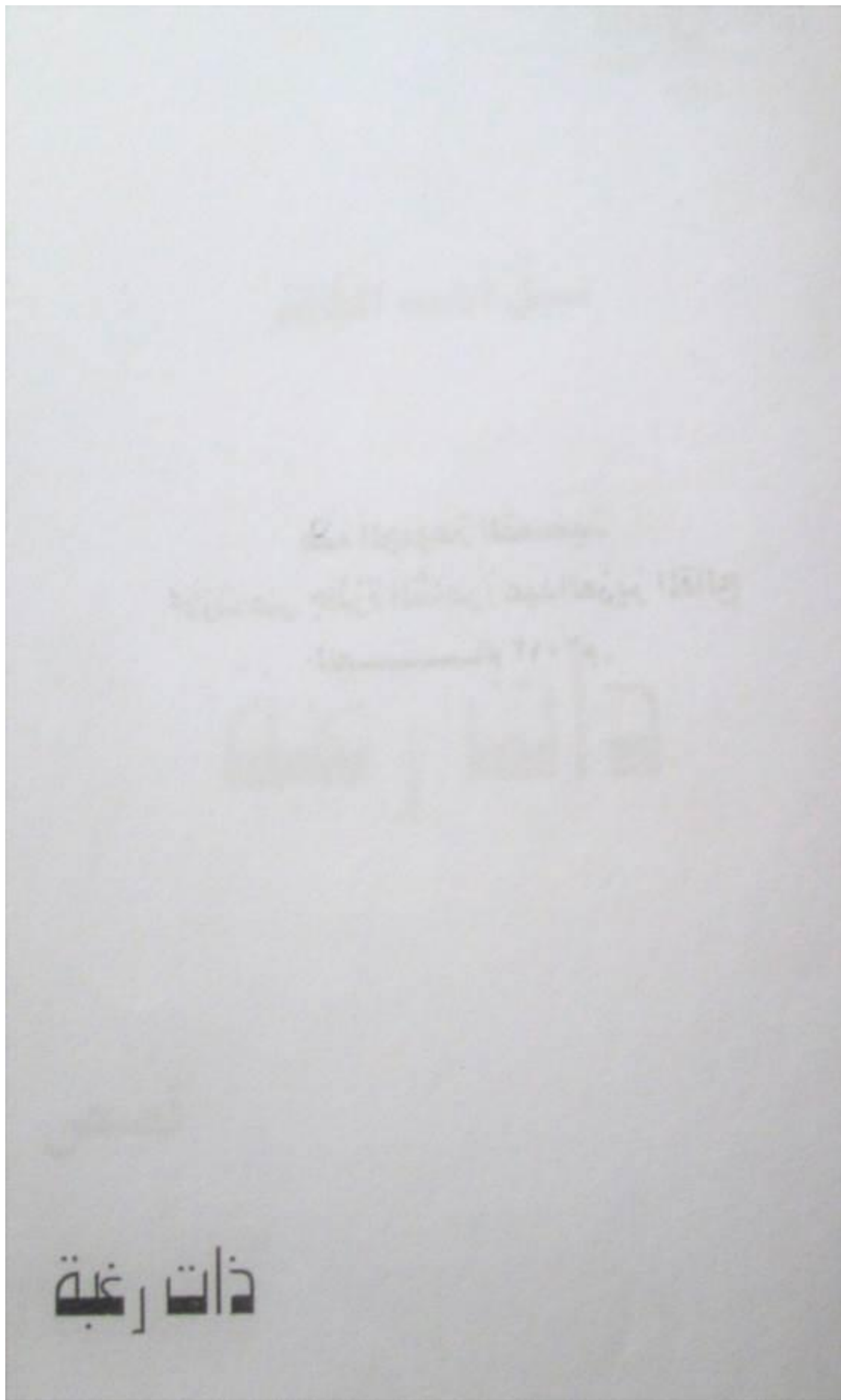


جائزة الشاعر
عبد العزيز المقالح
لعام ٢٠١٢م

نبيل أحمد الخضر

ذات رغبة

قصص



إبداعان بيمانية

430

نبيل أحمد الخضر

ذات رغبة

قصص

الإهداء

إلى المرأة التي اجتاحتها الرغبة
فأحرقت كل جنات الرجال

المحتويات

4	الإهداء
6	تناسل
10	امرأة بشتى الصور
12	تلومني الدنيا
15	مرارة الاكتشاف
17	كلهم يوسف
19	الميرر
21	تفاحتك
23	البحث عن جسد عار
25	ممارسة الوحدة
28	فقدان
30	قصاقيص الرغبة
32	قصص
35	ألوان طيفك
37	رائحة الغواية

تناسل

ذاك الرجل الذي لم يأت الزمان بمثله ، حنونا كأنه ورق ورد توضع رائحته عبر الأفق ، كريما كأنه سحابة تعصر نفسها حتى آخر قطرة لتروى أرضا عطشى شقققتها الأيام لكأنها تجاعيد عجوز طاعنة في السن حتى أرذله .

لم يكن ظني وأنا أعطيه ما أعطيت أنه سيغدر بي ، وهل غدر بي فعلا؟! هكذا جاء محركا رواكد ظلت أبد الدهر ساكنة ، هكذا رحل خالفاً زوابع تحيط بي وتبعثرني وتلممني لتعيد بعثرتي من جديد .

إختفى!! نعم اختفى وعاد لجسدي تشققاته ولكن التشقق ليس سببه البوار ولكن نبتة ما تنمو مكونة ألف خوف .

أبى ذاك الذي أعطاني العمر كله كان يرقب من البعيد ، هل كان يعرف؟! أم أنه فقط إستغرب التغيرات التي تحيط بي .

لا أم لي ، يقال أنها ماتت لحظة ولادتي وأن ذاك الأب هو من أعطاني الحياة ، ما باله يشاهد تكوراتي دون أن ينبس بشيء هل يفهم ما تعنيه تغيراتي أم أنه فقد جميع ما يعرفه عن الأنثى منذ زمن ماض أهداه لي .

باللارهاق الذي يحيط بي ، أحس كأني سأنفجر وأحس والدي أيضا سينفجر وأحس العالم كله سيتحطم في هذه الليلة المظلمة التي نفت نجومها إلى مجرات نائية .

جاء أبى إلى وكان أول يوم نتبادل فيه الحديث وسمعته كأنه يقول :-

- هيا معي !

- إني أكاد أموت يا أبى ؟

- ستموتين ؟ فهذه الليلة لا نجم فيها يرعى الحياة لمثلك !!

وبدون أي إحساس برفض أحاط بي بذراعه ، نمشى سووية في شوارع فارغة
كمشاعري والطريق تبتعد بنا ونحن نبتعد عن البشر وعن جملة الأحياء ونقترب
سووية من المقبرة القاطنة خارج مدينتنا الشوهاء .

لم أستطع أن أقول شيئاً ولم يستطع هو كذلك ، هل كنت خائفة ، هل كان غاضباً ، هل
كنت نادمة ، هل كان صارماً ، لا أحد يدري لا أنا ولا هو .

وهناك في أقصى حدود المقبرة إنتصب شاهد بدون عنوان لشخصية دفنت ربما بدون
شهادة وفاة ، لا إسم لها ، وإتجه ناحية القبر ينبشه ، قطرات دموعه تكاثرت
وإختلطت بالتراب مكونة عجينة طينية بداء يكورها ويلصقها بجانبه .

والألم يزداد ولكن من كان أكثر ألماً من الآخر أنا أم هو وإستلقيت على التراب أنتظر
حكم إعدامي وأنا أنظر للسماء .

- يا سماء هل غفرت لي ؟ أظن أنه يكفى عقاب مقترف الخطيئة بهجران المحب كم
تعذبت عندما مرت ليال لم أجده فيها ، ألا يكفى هذا العذاب أظنه يكفى وأظن أنى قد
وفيت حسابي منذ القدم .

وإذ انتهت فإذا بأبي يطرق شاهد القبر ويبكى وإنفتح باب القبر لتخرج منة أنثى
جميلة تنسج الإغواء كما تنسج الدود الحرير وفى وسط غابات الآلام سمعتها كأنها
تقول :-

- جنبت بها ؟

- نعم وإني نادم؟؟

وسارت إلى ترفل في كفنها واحتضنتني بشغف ما بعدة شغف وتمتت بتعاويذ سفلية

:-

- وريثة الخطيئة ، مورثة الخطيئة .

- وصرخ بها أباي :-

- اتركها لي فأنا لا أعيش بدونها ؟

- كنت تقول لي ذلك وتركتني ؟

- إنها إبنتك !!

- إذا فلتات معي !

وتفجر الماء من أحشائي وصرخت طالبة نجدة أي كائن من الأحياء أو الأموات ولا

أحد وأحسست برأسي يتصدع وكأنني نظرت إلى والدي يمسح الأمي من على وجه

القبور وكأنني أحسست والدي تذبحني وهم تتمتع بتعاويذها:-

- يا إبنة الخطيئة ، يا والدة الخطيئة .

والطفل يجاهد للخروج وكأنه في سباق ، كفأر يريد أن ينجو بنفسه بعد أن تهدم كل

شيء ورايتها طفله كأنها حورية تكونت من تناسل ملائكة .

قطع والدي ما كان يصلني بابنتي وأحتضنها واحتضنتني وصرخ في وجه الجميلة :-

- اتركهما لي ؟

- يا لك من طماع !!

- إنها إبنتي !

- وإبنتي .

- قد سامحتها إن كان هناك ما أسامحها عليه .

- فلماذا لم يسامحني أحد دفنت هنا حية أراكم في قبوري أحقاد العالم .

ولف والدي ابنتي في معطفه والطفلة الزاعقة ما أن أحست بالدفء في الحضن الذي كان لي حتى نامت بهدوء كأنها سعيدة لأنها احتلت مكاني ، شريرة منذ الولادة !!
وذهب أبى وصرخت به :-

- يا أبى .. يا أبى

لم يجب وأحسست روعي تخرج من صدري كأنها سيخ من نار وصرخت به :-

- ابنتي .. يا أبى .. يا أبى .

ووالدي تسحبني إلى قبرها وهي ما تزال تهمس بتعاويذها :-

- شريك خطيئة الماضي ، والد خطيئة الحاضر ، جد خطيئة المستقبل فليحصد
أخطائه أبد الدهر وأبى يبتعد وهو محدودب الظهر يحنو على ابنتي ويحميها من ذلك
البرد الذي يلفني ويبتعد ويبتعد ويدخلت بي والدي إلى قبرها وأغلقت باب
الحياة .

امرأة بشتى الصور

إنتفاضة باتساع الأفق أظهرتها ، دمعتان شمعتان إنسالتا من أحداقها جمدهما برودة الأجواء فتكونت خيوطا حلبيية على وجهها .

قالت :- من أرتال مشغوليتاك الكثيرة تنساني دائما .

أشعل سيجارته فاشتعلت ككبريت مكونة دخانا يبعث على الصداع .

قالت الشعلة :- دائما أنا في أدراج مكتبك مرمية في درج أعمال لم تنجز !

لم يعرھا إلتفاتا ورمایھا في منفضة السجائر وتقرس في صورة لها أيام الشباب البعيد فدخلت في الصورة وتحولت الشابة اليانعة إلى نفس المرأة .

قالت :- أصبحت بالنسبة لك صورة من الماضي يمسخها فراش بمنديله المتسخ .
وفرد أمامه بضع أوراق من الوارد لمكتبه يوقعها بميكانيكية تبعث على الضجر وفي صفحة من الصفحات زرعت بمتتاليات حروف وكلمات

قالت الحروف :- أنا الموقعة أسمى أدناه ، أقر وأعترف بحبك ألا يوجد لي مكان في جدول أعمالك ، ألا توقع فقط إلا على الورق أصبحت أغار من بياض الصفحات .

مزق الأوراق وقذف بها إلى سلة المهملات ودار بكرسيه عن كل شيء متجها إلى الجدار يبخلق في لوحة باتساع الكون وتحولت هي إلى خطوط لونية صارخة ، تكوين وحشي يخلق ثورة تقذف بالألوان في كل إتجاه على غير هدى أو بصيرة .

قالت الألوان :- في حياتنا عشنا معا ، حدقنا في الحياة ماضيها وحاضرها ، مرت علينا السنون بألوان طيف الحياة ، فمن بياض الفرح إلى صفرة الغيرة وشبق الحمرة وأتساع حلم الزرقة فماذا حدث الآن !

أنتزع اللوحة من الجدار ورمایھا من نافذة تغلو العالم وصرخ كأنه مجنون

-أخرجني من حياتي فقد أصبحت لي حياتي الجديدة؟؟

كل أعواد الكبريت خرجت من أقفاصها واشتعلت مكونة ألف شعلة متوهجة .. وكل الأوراق تراقصت حوله تضربه كيفما أتفق حتى الألوان لطخته .. كانت انتفاضتها بحجم الإدراك

قالت :- امتلكت قلبك كثيرا وعندما استرديته مني سأملك عقلك .. أذهب إلى شوارع لا نهاية لها فإن لم تكن لي فأنت للعدم...

تلومني الدنيا

ريح تكشف تضاريس الجسد ، وتكشف فيما تكشف رداء التراب ، عن عظام الموتى ، الراقدون في مقابرهم الجماعية .

ها هي الريح تضرب بلا تكلف، تقتل أحلامنا لعشء أمن ، تغير فينا ، تجعل من أحلامنا سراب ، ومن أمننا خوف .

يا للركام الذي تخلفه الريح فينا، ركام من صور ، خلفتها ذكريات قديمة وامتداعية ، تبعث على الحزن فينا ، تحيط بنا عيون شفقة.

تكسر ما هو صعب الكسر فينا، تعصر ما هو صعب العصر فينا ، تتركنا هلام أشياء مجوفة ، تصدر طنيناً يزعج العالم .

بدأت الحكاية حين أحببت ، كان شخصاً يفوقني طبقه ، أحسست حين رايت زائراً لقرينتنا يدق الأرض بقدميه ويرتفع على هامته سلاحه اللامع أن هذا من أعيش العمر كله بجانبه بأمان ، وأحسنت أنه بعيد بعد الشمس رغم أنه أكثر حرارة منها .

أحسسته ريحا تضرب جوانحي وتكشف ما ظلت العمر أستره بلا جدوى من مقاومتي التي كانت أقرب إلى الاستجداء .

عندما عرف والدي بما تكنه جوارحي أفرغ رصاصاته بين قدمي وكأنه يقول ستدخل رصاصاتي رحمك قبل أن يدخل هو !

هل كان رافضا .. لا وألف لا .. فهو يحلم مثلما كنت أنا أحلم ولكنه يعرف أن الحلم بعيد فقرر أن دوى رصاصاته سترجعني إلى الواقع .

لم أكن لأرغب بأن أرجع إلى الواقع ففي الحلم قدرة على العيش بأمان داخل عالمي الخاص وفي الواقع هناك دمار وطمع يغلب الأرواح ويقتل جمالها .

كان أشقائي الأشقياء جنود لدى الحكومة .. أتذكرهم أقوياء ، فحول ، نظرة واحدة من أي كان كانت تخلق منهم إعصارا يدمر الأجواء .

وإندلعت الحرب .. وبأسلحتهم وبفحولتهم دحروا العدو أو ذاك الذي قيل أنه عدو .

وماتوا ، ذهبوا ثلاثتهم ورجعوا ثلاثتهم إلى التراب ، هل أحسست بالحزن .. نعم أحسست به .. هل أحسست بالحرية ؟ نعم أحسست بها .

كنت أعرف أنه يملك الكثير من الاراض .. كنت أعرف أنه يحرس أراضيه ، وفي ليلة تواطئت فيها مع القمر أن تظلم على العالم وتجعل كل الطرقات مظلمة وصعبة الرؤية ما عدا طريقي أنا .

وخطوت إليه .. هل كانت خطوات خيانة لكل من أحب .. هل كانت خطوات رغبة لمن اشتهى .

وحدقت به من خلف الصخور كان ما يزال يتحسس جذوع شجراته المحرمة بحنو .. كم حسدتها تلك الأشجار ، ووقفت في منتصف أرضة رافعة أطرافي كشجرة تنتظر يديه الحائيتين .

كيف سقطت أوراقى حتى أصبحت لا أملك ما يستر جذعى المتيبس .. كيف سقطت
ثمارى طازجة بين يديه يمضغها بالثأذ مجنون .

وكيف رجعت إلى موطنى الأصلي أحمل بين جوانحي بذراته التى ستنبت فى غير
موطنها .

هل كان حلما ، هل كان حقيقة ، كنت أكرر الحلم ما استطعت .. وكنت أرفد الحقيقة
بحقائق متتالية .

هل أنا مخطئة ، هل أنا مصيبة ، هذا ما أفكر به دائما وأنا أخطو إلية محققة الحلم
التالى ورافده الحقائق السابقة بحقيقة جديدة .

مرارة الاكتشاف

ها أنا استعويض عن حقيقتك بالخيال .. وها أنت تبتعد عن جنون دواماتي متذرعاً بالإنهاك.

عندما نظرت إليك أول مرة أحسست أنك الوحيد الذي تملك ما تحرك به روادك مستنقعاتي وما تحرث به بوار ترابي .

ونصبت لك شباكا .. أكانت شباكا لك أم لي .. من منا صاد الآخر .. العالم يقول أنى أنا من اصطدتك ولكني أحسست أنك أنت من صادني حتى ولو كنت أنا من تملك الشباك .

المنطق يقول أن من كسب من الآخر .. فقد صاده وقد يكون الآخر هنا .. بحرا .. سماء . نساء .. رجال .. أي شيء .. وأنا لم اكسب منك شيئاً فعندما اكتشفت حقيقتك أحسست أنك لا تساوى تعب الاصطياد .

ها أنا أحس بركود نفسي وجسدي .. أكانت نظرتي لك خاطئة؟؟ ها أنا أحس أنى أنا الإعصار والدوامة وأنى من أهتز وأزلزل العالم من تحتي وها أنت تبتعد عن جنوني ودواماتي متذرعاً بالإنهاك .

كم أتقرز من اختياري لك وأنا أراك تبتعد وتبتعد .. وأنت تتداعى مع كل خطوة تخطوها .. تخرج من سيطرتي .. لا أحب أن يخرج أحد من سيطرتي حتى ولو كان مثلك لا يملك ما يمكن أن أسيطر عليه . لكنى فعلا لا أحب أن يخرج أحد من سيطرتي .

أُتعرّف عندما أتذكر كيف كانت نبضات قلبي عندما نظرت إليك أول مرة أحس كم كنت تافهة وكم كان للمنظر عندي من قيمة عالية جعلتني لا أدقق في جوهرك المتداعي كأنك كنت قصرا ملئاً بالزخرف من الخارج و لكن من الداخل تبين لي كم أنت فارغا لا تسكنك إلا اليوم والفئران .

كنت أصرخ .. تحرك .. تحرك .. وأنت كالميت تحاول أن تتحرك ولا تستطيع .. وأجلدك وتلهث وأنت تحمل على كاهلك كتل من الرغبة والإغواء تلك التي أحملها في حقيبتني برفقة أدوات الماكياج ولكنك في النهاية تتداعي ولا تستطيع النهوض أبدا

هكذا أحسست بحجم الخسران .. وهكذا بدأت أستعيض عن حقيقتك بالخيال وبدأت أنت تبتعد عن جنون دواماتي متذرعاً بالإنهاك .

كلهم يوسف

كانت الأمطار قد توقفت . أوراق الأشجار أصبحت أكثر بريفا كأنهن مرايا .. الورود ضخت روائحها في الأجواء فأصبح للهواء مذاق مثير يبعث على الرغبة .

الجبال انتصبت وهى مزهوة بحشائشها والبرك أصبحت مترعة بمياه بيضاء عسلية تسيل على الأخاديد والجداول الصغيرة وتتجه إلى عمق الوادي .

كنت خارجة من البيت أجمع حزم الحشائش لفرقة الأبقار التي تملكها عائلتي .. هكذا أنا أتخلص منك ومن التفكير بك بالآلاف من الأعمال التي امتهنتها .. ها أنا ادفن نفسي في التنور أحترق كرغيف خبز عسى أن تطفي نيران الحطب نيران الاحتياج .

أهرع إلى برك الماء أصب على نفسي منها أكثر مما أحمله إلى البيت ويعجبني زغب الحشائش حينما اقطفها لأنها تذكرني بزغب صدرك الواسع كميدان .

ورائتك .. كنت تسبح في بركة واسعة بأتساع حدقتي وخرجت من البركة .. كنت ما زلت لامعا والشمس تحنو على قطرات الماء المنسكبة على عنقك ... هكذا أنت كنز من الجوهر اللامع .. ثوب سباحتك التصق بك فأصبحت شفافا كل وسامتك تجسدت في تلك اللحظة التي كنت فيها حرا تمسد شعرك من بقايا قطرات لم تكن تريد الهطول منك .

أحسست بألم وأنا أحرق بك عبر الأفق .. لم انتبه إلى الدماء وهى تسيل منى وظللت أحرق بك إلى أن مضيت واختفيت عبر الأفق مخلقا ورائك عالما من نشوة وكونا من شبع .

وانتبهت حينئذ إلى دمائي وهي تلتخ زغب الحشائش وهمست لنفسي بقسوة
- أكتب علينا ابد الدهر أن نقطع أيادينا لأجل حفنة من رجال !!!

المبرر

هكذا جاء ليحطم حياتي ، بلا صفة تصفه ، بلا شكل يعرف به ، بلا مبرر لدخوله
وخروجه المتكرر من تجاويف أفكاره والعبث بها خالقاً بداخلي عالماً من فوضى .

عندما تلاقت الحدقات فزعت حدقتي عندما أحاطت في حدقتيه كونا من العبث
والخدعة .. كأنه لم يخلق إلا لهما فكيف انتمنته على أشيائي .

ها قد عبث بها كما لم يعبث بها أحد قبله .. كل من مر على أشيائي كان يعبث ومن ثم
يعيد ترتيب ما عبث به .

لكنه هو الوحيد الذي ظل لمدة حسبت أنها الأبد يبعثر ويللمم ويبعث من جديد اشيائي
.. هكذا دون جائزة معينة نكسبها نحن الاثني في نهاية هذه اللعبة الغير مقوننة في
عالمه العبثي .

كيف سمحت له أن يبعثر أشيائي هكذا .. يؤجرها لمن يرغب في استعمالها لفترة ...
كيف سمحت له أن يعرض أشيائي في الطرقات لمن يرغب في المشاهدة المجانية .

أهي طفولته الوحشية من جذبتني إليه ، دائما ما كانت محيا الشقاوة على وجهه تخلق
عواالم من التمرد والرغبة والاحتياج.

أهي رغبته في حب الاستطلاع ... كل من عبث بأشيائي ردها إلى كما استعارها أول
مرة إلا أنه لديه فضول الأطفال وشقاوتهم .. يفك غطاءات أشيائي ويعبث
بتوصيلاتها الحيوية ويعيد الغطاءات لأكون بعدها أكثر قدرة على توصيل تياراته
ذات الفولطية العالية .

أهي فولطيته العالية من جذبتني إليه كل من عرفت لم يستطيعوا أن يصلوا بي
إلى إضاءة قنديل صغير من قناديلي .

عنده .. عنده فقط ..أحسست أن كل قناديلي الألف تتوهج .. أحسست أن عيناى
تخترقان عالم المرئيات إلى عالم من اللامرئيات .

عنده .. عنده فقط .. كشف عنى بصري فأصبحت أرى عوالم النور والظلمة ..
أحسست أن كابله الضخم والقوى قادر على امتصاص كل كهرباء العالم وضخها في
داخلي .

يا لعبثة .. وياالجنونة .. يا لإحساسي به وجنوني به .. منذ نظرت إليه وسارعت
بالهرب معه تحت رداءه الفضفاض إلى ما لا أدرى أين سيوصلني في النهاية.

تفاحتك

قلت :- كم كانت جدتي الأولى غبية حينما أتاحت لجدك الفرصة ليقتنص التفاحة ... هل كانت تعتبر نفسها أكثر نكاءا حين تراجعته بخبث وتركته هو يلتهم ثمرة الخطيئة ليحظى هو وحده بالعتاب وربما العقاب .

لا أدري حقا ما الذي حدث هناك قبل بدء الخليقة .. ولكن كل ما أدرك الآن أن السحر إنقلب على الساحر وأنها غرقت في لجة الندم بسبب أفكارها تلك عند أول لحظة إحتياج في هذا العالم .

قال :- كانت مسيره لا مجبرة .. فمن وضع السيناريو كان يريد هو أن يسيطر على كل المفاهيم المكونة للتاريخ .. الإحتياج ... الضرورة .. الظروف .

قلت :- ها أنت تمتلك ما ورثته من آباءك وأجدادك حتى الأب الأول .. وها أنا أصبحت أستجدي منك لذة الخطيئة .. تلك التي تنازلت بها جدتي الكبرى في أول لحظة غياب مرت على البشرية .

قال بغرور:- هكذا خلقت لأمارس لذة الإغواء وهكذا خلقت لتمارسي لعنة التحديق . قلت :- كم أنت متفاخر بها .. تفاحتك .. تستعرضها ضمن ما تستعرض في كل حياتك .. أتعرف !! عندما تتحدث إذا بها تجعل من صوتك أشبه بموسيقى شبيقة تنشر الرغبة في كل محيطك الجغرافي . وعندما تشرب كأسك فإذا بها تحلق عالما من نشوة تجعلني أربأ أن أكون شرابا .

قال بتفاخر :- يا لك من مسكينة حينما تمارسين لعنة الاستجداء .

في تلك اللحظة وأنا أحرق به قال في لهجته المغوية :-

- أترغبين في تذوق عصير تفاحتي !!

- أريد ها !!! لا أرغب في عصيرها فقط .. أعطها لي ودعني أتناولها ومن ثم

أستخلص عصيرها بنفسني .

وتهربت أنت منفعلا :- إنها ميراث لا يجوز التفريط به.. خصوصا لك يا من حذرت

منها كل ديانات السماء .. ولعنها كل ذكور الأرض !!

قلت في لهجة التاجرة الشرهة :- سأعطيك كل ما أملك من أسلحة .. دمرت بها تاريخ

البشرية .. أنا أملك الفتنة .. الإغراء .. الإغواء ...ال.....

قاطعتني ساخرا :- من قال أنك تملكين كل ذلك .. كل ما تحدثت به توا لا وجود له

في هذا الكون إلا في تفاحتي .. عصيرها مكون من كل ذلك .. فلا تبادلين بما لا

تملكين !!

قلت بندم :- لو كانت جدتي الأولى سارعت إلى إمتلاك الخطيئة الأولى لكنت أنا سييدة

العالم ولكنت أنا من أعطى وأنت من تستجدي !

قال :- فلتحصدي أخطاء ميراثك الأبدي .

كان يتجهز للرحيل ... وكنت ما زلت أمارس لعنة التحديق به .. بداء يخطو مبتعدا ..

وبدأت أحس بحجم الخسارة إن تركته يذهب لم أشاء أن أخسر هذه الجولة ..

فقد خسرت في كل جولات التاريخ ... سارعت إليه .. تخبأت بين أعضائه .. كان

كريما .. فقد أهداني كأسا متخمة بعصير تفاحته .. رغم أنه إحتفظ بها .

البحث عن جسد عار

ما يزال هناك سؤالاً يدور في ذهني وأنا اقلب القنوات الفضائية طوال ليلي الطويل ... أقول هاهم بداؤ يعرفون الرجل بعد سنوات طويلة من الأغاني والأفلام التي كانت المرأة فيها هي الهدف .

كل الأغاني الحديثة تجعل هدفها الأول .. الرجل .. ها هي تظهره كأبهج ما يكون وها هي المرأة تجد منافسا لها في سوق الجسد .

أنا ... أنا عانس مثل الملايين غيري من النساء اللواتي فاتهن القطار .. وليس باستطاعتهم حتى استئجار تاكسي للحاق بالقطار .

هكذا كتب علينا أن لا نعرف جسد الرجل إلا من خلال شاشات التلفزة الباردة .. هل هم يفعلون ذلك لأجلنا .. لأجل جمهور العوانس اللواتي أصبح عددن مهولا .. ماذا يرغبون .. على ماذا يخططون؟؟

في الأمس كنت أقلب مجموعه من القنوات شاهدت عددا كبيرا من الأغنيات ابحت عن أغنية واحدة ظلت تشغل تفكيري منذ رايتها أول مرة .

كنت قد شاهدت العديد من الرجال يعرضون أجسادهم على الشاشات والمطربات يصدحن بأغانيهن المليئة بالإغواء والإثارة .

في أغنية لجنيفر لوبيز شاهدتها بالأمس .. كانت جنيفر تغنى وترقص وتستعرض مهاراتها كفنانة شاملة وحوله تدور فتيات وظهر هناك في أقصى يسار الشاشة شابا تغنى له المطربة .

كان لا يستر إلا بضعا يسيرا من جسده والفتيات اتجهن إليه .. كن يرتمين عليه فيعيد
رميهن على الأرض .. وهو ما يزال يحرق في المطربة التي توجهت إليه .. بداءت
تحتك به .. كم حسدتها !!

كان جميلا .. كأنه تم انتقائه من الآلاف .. أحببته ... رغبت به... لا توجد حرية كافية
لأقول ذلك .. لكنى اهمس بهذا لنفسي وفكرت ... من أين لمن لم يطرق بابها متسول
عجوز مثل هذا !!

واستغللت ظهوره وحيدا على الشاشة وأوقفت الصورة بجهاز التحكم ... ضخمت ما
أريد تضخيمه .. حدقت فيه كما أريد .. دقائق طويلة وأنا ما زلت أتصفح تضاريسه
ضخمت وجهه وشاهدت ثراء شفثيه .. وقبلت الشاشة الباردة .. لكنى أحسست حرارة
شفثيه .. لم تكن تهيوأت .. كانت حرارة حقيقية... أحسست نفسي ترتفع في مصاف
النشوة حتى وصلت بها إلى المنتهى .

وأرجعت حركة الشاشة .. كانت الأغنية قد انتهت منذ زمن .. كانت الأغنية التالية
لمطربة تغنى على حواف مسبح ... كان هناك كما ثريا من الرجال .. أوقفت الصورة
وبدأت ارتفع قليلا .. قليلا في مصاف نشوتي المقبلة .

ممارسة الوحدة

ها أنت تمارس قتل نساء عدوك .. وها عدوك يمارس قتل نساءك ... ها أنت تمارس خنق حياة عدوك وإستلاب ضحكاته ... وها عدوك يمارس خنق حياتك وإستلاب ضحكاتك .

وها أنا أمارس وحدتي بشكل يشبه موج البحر .. أتقدم .. أتقدم .. ثم أراجع ومن ثم أتقدم .. أتسكع في طرقات بيت تعشش فيه العنكبوت وتمارس فيه الفئران طقوس تزاجها على مرأى منى في مشاهد أقرب إلى الضجر .

أتعرف ؟ لا لا أنت لا تعرف .. ولا أحد يعرف على من يقع الضرر الأكبر في هذه الحرب .. هل يقع على الرجال اللذين داخل دائرة النار وأمام الخطر وجها لوجه ؟ أم على الأطفال والنساء .. النساء اللواتي يعانين إحساسا دائما بالترقب .. الوحدة .. الم الافتراق والشعور الدائم بالفقدان والجوع وعبثية البحث عن خبر موثوق .

أنت وقبل أن تذهب ربطت خيط قطني على غصن شجرتك المفضلة مقلدا بذلك أجدادك الذين كانوا يربطون خيطانهم ويذهبون إلى معاشهم .. و عندما يرجعون يتفقون أول ما يتفقون خيطانهم فإن كان قد إنفكت فهذا يعنى الخيانة . خيانة من .. لمن .. ومن يربط خيطان تضمن عدم خيانتهم هم .

وأنت على بوابة هذا البيت لتخرج خروجك الأبدي قلت :-

- إنتظرينى .. إحتفظى بخصوبة أراضيك إلى أن ارجع فأنا فقط من أملك بذورا

جيدة !!

- إلى متى ؟

- إلى أن تنتهي الحرب .

ورحلت .. ولم تأتي .. ها أنا منذ سنوات أنتظر ... ولم تنتهي هذه الحرب .. ليس
للشر نهاية .. ولكن ما ذنبي أنا !!!

أنا أعرف أنك تزرع بذورك الجيدة في أراضى تسطو عليها مما يملك أعدائك ..
عدوك أيضا زرع بذوره بالأمس في أراضى جيراننا .. كانت أراض بكرًا .. بالنسبة
لي فقد نبذني أعدائك زاعمين أن أراضى لم تعد تساوى تعب الحراثة .

فعلا أنا لم أعد أصلح .. الوحدة شققت روحي .. البحث الدائم عن جذر نبات أو ورق
جاف أطهوه على العشاء .. الذي يبدو كل ليلة أنه العشاء الأخير .. الطقس المترقب ..
الدوران المرهق حول نفسي خوفا من شخص يقف ورائي ... على مدار الساعة أنا
أدور .

في آخر رسالة لك قلت :-

- أما زلت تنتظريني؟؟

وأجبت :- لا يسعني إلا ذلك .. أنا لا أجيد إلا الانتظار .. وحيدة .. مهملة ... متداعية
.. وفى آخر رسالة لك كتبت فيها :-

- إلى متى هذا العبث .. ماذا تفعل .. تطلق قذائفك .. توقف عن كل ما تفعله ..
توقف .. ماذا تفعل الآن ؟ هه ماذا تفعل الآن .. تطلق نيرانك .. إذا توقف عن
إطلاق النيران .. تتناول طعامك .. إذا توقف عن تناول طعامك .. تتداول
الأحاديث مع أصدقائك أبعد أصدقائك من جانبك الآن .. الآن .. كفى نفسك
ببضع دقائق صمت .. اضغط على جمجمتك وحاول أن تسأل نفسك .. لماذا
كل هذا؟؟ وحاول أن تجيب .. إن لم تعرف الإجابة فواصل إطلاق قذائفك ..

وإن عرفت الإجابة فتعال سريعا لنمارس حرب الرغبة والاشتهاء فقد
أصبحت مرهقة من ممارسة الوحدة .

فقدان

هكذا ترحل مثل الطيور إلى أقاصي السماء وهكذا مت مثل شجرة واقفا كأنك لا تريد أن تفقدني الظلال التي كنت تقينى بها حر الشمس وبرودة الطقس .

تفتح ذراعيك وتنبت شعيراتك مكونة أوراق من كل لون على كل ورقة منها أسمى .
في كل شيء كتبت أسمى .. كل ورق العالم وكل جدرانه وكل سماوات الكون .

كأنك ... سرير .. كأنك دثار .. كأنك تخلق الأمان في كل شيء تحيط به أو تلمسه
يداك .. كأنك نظرة تحتوى العالم وكأنك بسمة تنشر الفرح خبزا لكل الكائنات .

يا لهول فقدانك ... وهل فقدتك ... ها أنت تركت لي ما أتعيش به لأجلك وبك ... إلا
أنت ... ها أنت أورتنتني سلالا من أحلامك وضحكائك وقطرات من دموعك .

عندما كنت شابه .. كنت أحلم بصدر واسع أنام على ضفافه وأغمض عيناى وأنا
أحس أعشاب صدره تخز خدائي .

كنت أحلم بصدر قاس ترتكز على خصر مشدود مزخرف بالعضلات .. تاجا أسود
على رأسه وابتسامة عذبة تظهر لمعان أسنانه .

كنت أحلم بك فارسا حنوننا تحتملني طوال الطريق مهما بعدت . وجئت من البعيد ..
ممتطيا جوادك الأبيض .. منتصبا وشامخا لترفعني من على سطح الأرض إلى
سرير من سحابة بيضاء .. ناعمة .. ناعمة .. كأنها .. كأنها .. لست أدري .

ها قد جئت لترفعني من على التراب ولتحتويني .. وتهرول بي إلى البعيد .. كم أحسست بالدفء.

كم حسدت ظهري الذي كان يحتك بصدره القوي .. كم حققت على خصري الذي كان يستمتع بدغدغائك .. كم غرقت في مسام جلدك الشهوي .

والجواد ما يزال يهرول .. كل جسدي كان يحتويه جسده .. كل جسده كان يحتك بجسدي .. وصرخت فرحة .. أم أنها كانت صرخة نشوة أفلتت منى دون قصد .. دون قصد .. أرجعت كفاي إلى الوراء وأحطت بخصره .. وجذبتته نحوى .. كم أحببت التصاق جسدينا وما يزال الجواد يهرول بنا .

فرح متواصل .. ذهاب لا ينتهي إلى مدن النشوة والرغبة .. دونما إحساس بالاحتياج .. دونما إحساس بالفقدان .

حتى عندما رحلت .. رحلت دونما رغبة منك .. رحلت كالطيور .. كالأشجار .. لكنك حتى عند رحيلك ما زلت تظللني بأوراقك .. وما زالت شجرتك حتى وإن كانت قد أسلمت الروح .. ما زالت تخبئ لي تفاحة بين أغصانها الكثيفة لا تسقط إلا عندما أستظل تحت جذعها فيالك من كريم وأنت بين يدي وبالك من كريم وأنت هناك في الجانب الآخر من الكون .

قصاقيص الرغبة

(1)

تندهبش الصويحبات عندما أذكر لهن محاسنك .. يتهمني بالجرأة فما هكذا تصف
الأنثى ذكرها .

قالت إحداهن :-

- لا وجود لرجل بهذه المواصفات !!

وقالت الأخرى :-

- حصلت عليـة جاهز أم تفصيل .

وهمست الثالثة في أذني :-

- نحن أربع فلنتقاسمه حسب الشرع !!

وفكرت وأنا أنظر إليهن يتضحكن ... هل تستطيع ؟ من واقع تجربتي .. أنت قادر
على ألف من النساء .. وعندما توصلت إلى هذه النتيجة أبلغتهن موافقتي واندمجنا
جميعا في ضحك صاخب .

(2)

ينعتوني دائما بالمجنونة .. لماذا ؟ هل لأنى أتزين بشكل مبالغ فيه!! .. هل لأنى لم
أترك رجلا حتى زوج أمي .. وماذا أفعل .. من خلاله شاهدت أمي أيضا تنتهك ..

ثم .. ثم .. من أجبرها على الزواج بهذا الرجل !! هي اختارته فلتحتمل نتيجة
اختيارها ولتظل أبد الدهر صامته عندما يرجع إليها كل ليلة يشكو الاغتصاب .

(3)

ياه كم يبدو بليدا .. دائما ما كنت أحاصرة في زقاق مكتب .. أو في رحاب أريكة وحتى في غرف المدخنين .

صرت أدخن فقط لخدمة أغراض خطه هجومية لا تبدو أنها ستحقق أغراضها .. ها هو يدافع عن نفسه بشراسة .. كأنه يخاف أن يحمل عارا لا يستطيع التخلص منه حتى بعد تسعة أشهر !!

يحتوى نفسه خوفا من أيادي العابثات وهن كثر ولكنهن لن يتفوقن على فما يزال لدى الكثير . .. ها هو يزورني .. يبلغني إحدى قرارات إدارته .. وها أنا أبلغه قراري .. لم يكن قرارا لأنه اندفع فجاءه إلى حيز التنفيذ .

خلال دقائق مرت أحسست به يتحول بين أصابعي إلى قطع من قماش رثة بشكل يفوق الوصف ياة كم يبدو رثا .. مهملا وهو يشكو فقدان بكارته التي حافظ عليها العمر بأكمله .

(1)

يا لكيونتك المائية .. كم تترع من سوائل تجرى في تعرجات شرايينك المرهقة والمرهقة .في حكايات الجدات ظهرت حوريات بحر تغوى الذكور وتستقطبهم إلى جزر معزولة تستنزف فيها فحولتهم .

لكن ما لم يحكنه الجدات ربما بسبب الخجل أو الحياء الأنثوي حكايات حواربي بحر مغويين يستقطبون إناث مرهقات إلى جزر معزولة يستنزفون هناك أنوثتهن .

وعندما تعرفت عليك .. كنت واقفا هناك أمام بار عصائر متنوعة ترشف من كل عصير كأسا مترعة وتستخلص منها كل مذاقاتها وروائحها لتقدمها ممزوجة وشهية لمن تحب .. فهل أكون أنا ؟

عندما تطلعت إليك كثيرا أحسستك تمتزج بنظراتي وأحسستك تتجه إلى واثقا أنى لن أرفض عطايك .

وجلست أمامي بحرية واسترخاء .. مباعدا بين ساقيك .. كاشفا لي حجم ذكورتك .. ومن دون أن أوافق وحتى من دون أن أرفض بدأت تحكى لي عن عالمك المجنون . ذلك العالم الذي جعلني أكفر بعالمي المتحجر .

ها أنت تلف أصابعك حول أصابعي وها أنا أخطو بجانبك كأني لا أملك حقا بالرفض وهل كنت سأرفض .

كم أحسست بك وكم تماهيت مع عالمك .. وكم أصبت بصواعق تجتاحني في
سماوات ارتفعت بي إليها لنسترق سمعا لبض أحاديث الملائكة عن مستقبلنا نحن
الاثنين يا لفيض مشاعرك .. أحس بها دافئة تغمرنني بشلالات من نبع ساخن
يقطنك .

(2)

كم حدقت في القمر حين اكتماله .. مكونا سره للسماء .. شهية .. تصبح عندها النجوم
شعيرات تتناثر حولها بفوضوية .

كان ينفخ في نايه زفير رغبته ويتلمس بأصابعه النارية فوهات فتصبح عندها فوهات
براكين مشتعلة بعد طول خمود .. وتتدفق من بينها أنغام مغوية .

ها هي أنغامه تخرج منتصبة تبحث عن تجايف أذني ، تصب في داخلها . خالقة في
عالمي كونا من خدر وخمول وتشبع .

والجسد يسعى خلف نغم ساحر يجذبني إليه بلا خيوط .. فقط ذبذبات صوتية تنفذ في
مسام الجسد مستقطبة إياه إلى فراش من جمر .

ها هو يفترش الجمر .. ذلك الجمر الذي سلط على جسده أضواء برونزية زادت من
حمرته جاعلة من أكثر شهوانية .

عريه الفاضح .. جمرته المفضلة التي اعطانيها . مسح بها جسدي لأكون أكثر قدرة
على تحمل نيران حممه التي يرغب أن يغسلني بها .

وحدقت في نايه .. راغبة في بعض الخدر .. كم كنت خجلة حين أكتشف تحديقي
الفاضح .. لم يبد أنه مهتم .. فقط استلقى بتكاسل على سرير من رماد مرصع
بجمرات ذهبية وتلمس بأصابعه نايه .. نافخا فيه الروح .. خالقا في لحظة تلك الأنغام
المغوية .

ألوان طيفك

ها أنت تخطو على صحرائي السمراء الشاسعة حافي القدمين .. عار إلا من
جلدك الشهي .. حرارة رمالي تضخ إليك السنة من لهب تجعلك تتقاذز كأنك قط على
صفيح ساخن .

وإنثيالات من السماء قزحية الألوان كستائر مسرح هائل .. بحجم العالم تنسال رويدا
إلى الأسفل تحاول أن تستر عريك اللامتناهي .

ها أنت تخطو على صحراء جسدي الشاسعة كإعصار .. ينفخ بداخلي هواءه
الملوث بغبار طلع تشكل من آلاف الزهور والنخيل .

ومن السماء امتدت شلالات من قماش شفاف تحاول أن تستر عريك الشهي .. كان
قمائشا أحمر التف حولك بنعومة وإغراء بالغين فتوجس جسدي مكونا حرارة لا
تحتمل .. كأنها نيران تستعر بداخلك ومن ثم استعرت بداخلي .

كنت على الحدود القصوى للإغراء حينما امتدت من السماء غلالة زرقاء شفافة
على أقصى ما تحتمله الشفافية من شفافية فتكون في جسدي رائحة الحلم . الحلم بك
.. وبجسدك .

ها أنت تغرس أصابعك في صحرائي تبحث عن مياهي التي تدفقت حارة لملمس
يديك . وها هي السماء تبدو كريمة معك كما لم تكن كريمة من قبل فمن السماء
انهمرت غلالة سوداء التقت حولك بشراهة لتجعلك رمزا لظلال العيب والمجون .
كأنك لم تعيش حياتك إلا بهما .. المجون .. كم أحببتك ماجنا .

وها أنت تتحرك على صحرائي تضخ في تراب جسدي مياها كأنها الحياة . كأنها النار .. بل كأنها الجنون .

وها هي غلالة خضراء من سندس سماوي تدشن خصبك .. وترفع غصنك .. ليتكون شجرة .. غليظة الجذور منصبة الهامة ..

وها أنت تتدثر بدثار من صفرة شفافة وها أنت تتدثر بدثار من ابيض شفاف تحيطني به .. تجعل من البياض دهانا لكلينا .. كأننا جسدا واحدا ابيضا كالشمس .. كنار احمرت لآلاف السنين حتى شابت ألسنتها وأصبحت نار معتقة .. إن لم تكن مقدسة نيرانك .

وها أنت انتهيت وها أنا ارتويت .. وها نحن نبصر السماء تنشق لترتفع غلالاتها بعد أن شاركت في حلم ليلة صيف .. لأصفق لك . كما لم اصفق من قبل .. فقد تقمصت شخصيتك كما لم يتقمصها أحد من قبل مر على صحرائي يحاول أن يبذر فيها بذوره لتصبح غابة ولكنة فشل فمعك أنت سوف تنبت من كل ذرة رمل شجرة نارية .. تعطي العالم مزيدا من رغبة وشوق واهتياج .

رائحة الغواية

من ميزاتي أو ربما كانت من عيوبي أنى عندما أصحو من نومي تظل رائحة ما ملتصقة بأنفي تسيطر على كياني وتوجهني كإنسان ألي إلى رجل ما .

لا يوجد رجل ما في حياتي أو ربما كان من ممتلكاتي ولكنى لا أستطيع القول أن كل رجل في هذه الحياة هو جزء لا يتجزأ منها . من ممتلكاتي وحياتي .

فكل من كانت لجسده رائحة نفاذة تسيطر على أنفى فقد سيطر على كلية وأظل أحارب حتى أسيطر عليه ويصبح جزء من ممتلكاتي .. هكذا حتى أستنزف رائحته وأرميه كخيار معطوب لا طعم له أو نكهة .

رائحة الرجل .. ما أجمل رائحة الرجل .. عندما أصحو من نومي .. أو عندما صحت اليوم من نومي كانت على أنفى رائحة الجوافة .. ثمرة الجوافة .. لا أذكر متى أكلت آخر مرة منها ولكنها كانت مسيطرة على وسألت نفسي... ترى هل سأجد رجلا برائحة الجوافة؟؟؟

كنت أعرف أنى لست حاملا بجنين ولكنى حاملا بشهوة .. برغبة واهتياج وكنت مدركة أنى حتى ولو أكلت كل ثمار الجوافة التي على الأرض ما ارتويت وما شبعت . وحده ذكرا ما في هذه الدنيا الشاسعة هو من سيعطيني ما أرغب به .

لهذا تزينت ولهذا خرجت لأبحث في كل شوارع الكون اللامتناهي أبحث عن رجل الليلة .. استنشقت رجلا برائحة الليمون ورجالا برائحة التبغ ولكن رجل الليلة لم يوجد بعد .

كنت ما زلت في وسط المدينة عندما أحسست أنى قريبة جدا من رائحة رجل ما يحمل نفس الرائحة الملتصقة بأنفي .. كان في الفتحة الخامسة من الشارع الرئيسي الذي توقفت وسطه تماما ابحت عن مصدر الرائحة .. واتجهت إلى رجل الليلة .. كانت رائحته النفاذة تشتد كلما اقتربت منة مترا بعد مترا وقطعت الكيلو مترين في سرعه عجيبة .. لأنى أحسست أن الرجل يبتعد إلى لا مكان .

ووجدته كان يخطو في الشارع ولا يبدو من شكله أي ميزات خارجية .. رجل كآلاف الرجل الذين مررت على أجسادهم واستهلكتها ومن ثم بصقتها كلبان علكته حتى استنزفت حامضه وحلوه .

أصبحت أجرى لألحق بخطواته الواسعة ..حتى أصبحت بجواره وهمست له لاهثة :-
- بكم الجوافة؟؟

ونظر إلى مدهوشا .. وتجاهلني . كان يعتقد أنى مجنونة وإن كان قد أعجب بجمالي الفارة وأصررت عليه
- بكم؟؟

- أتركينى يا سيدتي الجميلة . أريد أن أذهب إلى عملي!!

كانت فرصتي سانحة فأغلب من تحججوا بالمال لهثوا ورائي عندما لوح لهم به وسألته وأنا ألوح برزمة نقدية
- هذا أجر أسبوع يا رجل الجوافة؟؟ لعمل ليلة واحدة
- ليلة؟؟؟؟

- نعم ليلة؟؟ ففي الليل تطلق أوراقك روائحها وتمارس النتح بجهد كأبهى ما يكون لتكون عند صباحك الباكر مغسولا بعرقك وقطرات نذاك !!
- أهذا غزل؟؟!!

- تريد النقود فتعال !!

وجاء .. للرزمة تأثير السحر .. كانت هي رفيقتي في كل شارع بحثت فيه عن رائحة ما .. يقال في بعض الأساطير والتي قيل أنها أنتجت كفيلم في الأونة الأخيرة انه كان هناك بائع عطور مشهور .. كان يمزج بين العطور بسلاسة حتى أنه كان يبتكر كل يوم آلاف التركيبات ولكنة لم يجد التركيبة التي كانت ستعطيه الخلود .. التركيبة التي لم يستنشق مثلها أبدا .. كانت النساء تبحث عنده عن أجمل الروائح ومن خلالهن أستطاع أن يجد العطر الذي سيظل ابد الدهر رمزا للغواية . عطر الجسد .. هكذا فكرت وأنا أخطو بجانب رجل الجوافة .

فكرت أن النساء والرجال يبحثون عن العطر والعطر الحقيقي والجمال الحقيقي يكمن في أجسادهم .. في تفصيلاتها وأماكنها المحمية بأستار الحياء .

عندما أكتشف ذلك العطار أن العطر فقط في الجسد بداء يقتل النساء ويستخلص من أجسادهن عطرا حقيقيا .. كل النساء اللواتي مررن عليه كان يتركهن بسلام حتى يجد المرأة التي ستصبح جزءا من تركيبة ذلك العطر الأسطوري الذي سيجعل أرتالا من البشر تعاني الم الرغبة والاحتياج و حلاوة اللقاء بين كائنين يحس أحدهما بالأخر كإحساسه بنفسه .

هكذا أنا ربما أصابتنى اللعنة .. لكنى لا اقتل ذكوري كما قتل العطار نسائه . بل أستخلص منهم روائحهم وأضخها في داخلي .. هنا في جسدي إنسابت كل روائح الكون في جداول عذبة .. كل ليلة كان يسيل بداخلي جدول جديد .. كل النساء تبحث عن رائحة جميلة في الأسواق وبيوت العطارين ولكنهن ينسين أن العطر الحقيقي هو عطر أجسادهن .

كل الرجال يبحثون عن عطر يجعل من روائحهم النفاذة تختفي فتختفي معها رجولتهم . ينسون ويتناسون أن روائحهم الأجل تكمن في أجسادهم .

والتهمته .. ربما كان يعرف ما أريد منه عندما ذكرت له أن العمل سيكون ليلا فليس غيبا .. كان متعاوننا وهو يتجرد من أوراقه ويرفع يديه إلى السماء صامتا ينظر إلى بصمت وأنا التهم ثمراته وأعلك أوراقه وأمتص رائحة العروق النابتة من جذوره الملتصقة بالأرض بحياد .. وطوال ليلة كاملة ظللت استنشق رائحته . وأكل من ثمراته وأعصر بعضها لتكون خمرا حلييبا كأنه الضوء .

- هل أمكث الليلة أيضا ؟

ونظرت إليه كان عاريا من أوراقه وثماره ورائحته . الرائحة منتشرة في كل الأجواء ما عداه وأشرت له متقززة بالانصراف .. كان قد فقد قيمته .. فقد كل شيء بالنسبة لي وأصبحت أراه مرتديا كل ثيابه ما عدا رجولته ورائحته وذهب . كما ألف غيره ذهب وكما ألف بعده سيذهب .

ومرت الأيام وأنا ما ولت أستهلك بقية رائحته الملتصقة بالجدران وأدثره السرير .. وفى صباح يوم ما صحوت وعلى أنفى رائحة الشوكولا .. هذا دون سابق إنذار .. كانت رائحة رجل الجوافة قد انتهت من على كل شيء وأصبحت مستعدة لاستهلاك رائحة جديدة . لرجل جديد ولكن من هو الرجل الذي سيملك في جسده رائحة الشوكولا .. أين سأجده في هذه المدينة اللعينة التي تخفى روائح أناسها أو تستهلكها وتبعث بدلا منها روائح عوادم السيارات والمصانع .. لم أكن أعتقد أن الحظ سيخدمني إلى باب بيتي . كان من يأتي ليستهلك قمامتي .. رجلا أسودا يبدو من إحدى الدول الإفريقية .. يأتي كل أسبوع ليجمع فضلاتي ويأخذها فوق ظهره متجها بها إلى البعيد .. لم أنتبه إليه إلا في تلك اللحظة التي طرق بها بابي وفتحت له

لتزكمني رائحته المعبقة بالقمامة . ولكن كان هناك بعضا من رائحة شوكولا تبعث من ركن بعيد من جسده . كان يحتاج إلى التطهير من كل ما علق به لتصبح الرائحة معروفة المصدر والمكان .

كان يعتقدني كريمة وأنا أعطية صابوني المفضل ومناشفي الخاصة .. كان يعتقدني مجنونة وأنا أدخل عليه وهو يستحم لأدعك من على جسده كل قمامات الأرض ليصبح بعدها لامعا كأنه جوهرة سوداء نادرة .. تنبعث منها رائحة شوكولا جعلتني أناديه بالكوكا .. وأطلق عليه لفظ مخدري الخاص - تعال يا نبتة الكوكا .. تعال يا قطعه الشوكولا ..

لم يدرك ما أريد من إلا بعد أن أنشبت فيه أظفري أفتش عن رائحته التي كانت ما تزال تحتاج إلى التنقيب للوصول إلى مصدرها .

ها قد مزقته كما لم أمزق أحدا قبلة .. ها قد أخرجت من داخله كل ثرواته .. ها قد مزجت بين حليبه وشوكلاه مكونة إصبعا غليظا.. مقرمشا أذ من " جالكسى "

وها أنا التهمة حتى أصبح لا يملك من أمرة شيء .. وأصبح كأنه ورقة في مهب ريح اقتلعته من جذوره وقذفت به إلى البعيد .. وقد أصبح أيضا كأنه لا شيء . كأنه نكرة .. كأنه لم يعد يساوى حتى ثمن قمامته .

وطردته .. كنت حتى الآن أودع ذكوري بأرستقراطية إلا هذا ودعته كموس غارقة في لغة الدعارة .

وانتهى مفعولة سريعا . ربما لم يكن يملك من رائحة شكولاه إلا القليل .. وسيطرت على سريعا الرغبة في رجل جديد . رائحة جديدة .. كنت أمارس حياتي في النوم

والاستيقاظ ورائحة الزيتون تسيطر على .. كنت أريد رجلا برائحة الزيتون ... لم يأتني هذه المرة أي رجل .. وظللت أنتظر حتى أصبت بملل دفعني إلى الشارع كالمجنونة .. ابحت عن رجل برائحة الزيتون .. ذهبت إلى كل الطرقات .. الأزقة .. فكرت اننى لم أضع خطة للبحث .. فلا داعي لان ابحت في كل رجل التقية عن رائحة الزيتون .. فقد تشممت ككلبه كل روائح الرجال الذين مروا بجانبى ومررت بجانبهم .. ووضعت الخطة .. الزيتون تلك النبتة المباركة الموجودة في فلسطين .. ربما كان الفلسطينيون وحدهم من يملكونها .

وذهبت إلى كل الشوارع التي يقطنها اللاجئون الفلسطينيون .. استنشقت أجسادهم .. عتبات بيوتهم .. إطارات سياراتهم .. لكن لا حياة لمن تنادى .. لقد فقد فلسطينيو الشتات رائحة الزيتون .. رائحة الوطن .

كل قهوة يتجمعون بها دخلت إليها .. كانوا ينظرون إلى بدهشة .وكنت لا أهتم بهم .. فقط كنت اشتمهم وأحاول أن أجد رجلا برائحة الزيتون .

كل ما سبق .. كان عبث .. كل ما سبق كان قبض ريح .. كل الرجال الفلسطينيين من حولي أصبحوا بدون رائحة ... وبدأت اصرخ في داخلي . بين أنت يا رجل الزيتون ؟.. سأدفع فيك ..كل ما املك إذا كنت ما زلت ...رائحة وطنك تملك .. رائحة شجرتك تحتوى ... كانت الأسئلة هي من تتوارد إلى خاطري كأنها بث عالم للجنون والرغبة والاهتياج .

وكنت أملك كل شيء .. إلا ما أردته حقا .. نظرت إلى حقيبتي المتخمة بآلاف النقود .. ولم أجد بداخلها ما يرويني .. كنت ابحت طوال اليوم ولا أجد ألا العدم .

وحلمت ذات يوم بجرافة إسرائيلية تجتث شجرة زيتون .. وحلمت أن رجلا يمسك
بتلك الشجرة التي أصبحت جثة على الأرض ويحملها كطفلة بين ذراعيه رغم أنها
تزن أضعاف وزنة ليغرسها من جديد ولتضخ في جسده الشجرة كل ما تحتويه من
زيت ويكاد زيتها على جسده يضيء حتى ولو لم تمسه نار قبل أن يختفي .

وصحوت من حينها أنتظر الفجر وعند الفجر ذهبت مسرعة إلى الشوارع ابحت عن
شيء فكرت فيه منذ استيقظت .. ونظرت إلى حقيبتني المترعة بالنقود ودلفت إلى
المكتب الذي استقبلتني فيه شابة شبه حسناء ورميت أمامها النقود وأنا الهث
متضرعة :-

- تذكرة واحدة إلى فلسطين ..
- ذهاب فقط بدون عودة .

نبيل أحمد الخضر

- مواليد 1978م .
- مدون - مدونة ضمانات لحقوق الإنسان .
- كاتب قصصي .
- له مؤلفات تحت الطبع ،
- مجموعة يحدث في الطريق .
- مجموعة قصص الأرسفة .

حقق القاص نبيل أحمد الخضر نجاحاً فائقاً في مجموعته هذه في إيجاد رؤية جديدة في كتابة القصة القصيرة تتميز بالعمق والأصالة والتمرد على الأساليب القديمة، ووضاً نفسه كواحد من جيل الحدائة في الكتابة الإبداعية الجديدة في اليمن.

لجنة التحكيم


مركز عبادي للدراسات والنشر
ص.ب. 662 - صنعاء
تلفاكس: 485692
سيار: 777219617
الجمهورية اليمنية
E-mail: n_obadi@hotmail.com

